الحوزات العلمية التحوّلات والمسؤوليات

المناسبة: الزيارة الخاصة لمدينة قم.

الحضور: أساتذة وفضلاء وطلاب حوزة قم العلمية.

المكان: قم المقدسة ـ حرم السيدة المعصومة عليها السلام.

الزمان: 1389/07/29هـ ش. 1431/11/13هـ ق. 2010/10/21م.

4321

الحمد الله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد وعلى آله الطيبين الأطهرين المنتجبين الهداة المهديّين المعصومين سيّما بقية الله في الأرضين.

السّلام عليكِ أيتها السيّدة يا فاطمة المعصومة يا بنت موسى بن جعفر عليك وعلى آبائك الطيّبين الطاهرين المعصومين أفضل الصلاة والسلام.

قم مركز المعرفة للعالم الإسلامي

إن اقتران ملتقانا هذا ـ بكل عظمته التي أضفاها الحضور المميّز للأساتذة والكبراء والفضلاء والطلاب الأعزّاء لحوزة قم العلمية ـ مع الذكرى السعيدة لمولد الإمام الرضا عليه السلام، وكذلك مولد أخته الجليلة السيّدة فاطمة

المعصومة عليها السلام، يذكّرنا بالحركة العظيمة والمباركة لهذين الأخوين والهجرة الفائضة بالمعاني لهذين المعظّمين؛ وهي بلا شك حركةٌ بنّاءة ومؤثّرة في تاريخ شعب إيران وتاريخ التشيّع.

ولا شك أن دور السيّدة المعصومة عليها السلام، في جعل قم ما هي عليه وإضفاء العظمة على هذه المدينة الدينية التاريخية العريقة، هو دورٌ لا كلام فيه. فهذه السيّدة الجليلة، وهذه الفتاة التي ترعرعت في حضن أهل بيت النبيّ، بحركتها بين الأتباع والأصحاب والمحبّين للأئمة عليهم السلام ومسيرها بين المدُن المختلفة، ونثر بذور المعرفة والولاية بين الناس على امتداد هذا المسير وبعد وصولها إلى هذه المنطقة ونزولها في قم، تمكّنت من جعل هذه المدينة تسطع كمركزٍ أساس لمعارف أهل البيت عليهم السلام في ذلك العصر المظلم والحالك لحكومة المتجبّرين، وتتحوّل إلى قاعدةٍ تشعّ منها أنوار العلم وأنوار معارف أهل البيت على أطراف العالم الإسلامي بشرقه وغربه.

واليوم أيضاً فإنّ مركز المعرفة للعالم الإسلامي هو مدينة قم. في عصرنا أضحت قم كما كانت في ذلك العصر قلباً فعّالاً ونشطاً يمكنها وينبغي أن تضخّ المعرفة والبصيرة واليقظة والوعي في كل أرجاء جسد الأمّة الإسلامية. في ذلك الزمان، أصدرت قم أوّل الكتب الفقهية، وكتب معارف الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام، وفي حوزة قم أُلّفت الكتب الأساسية التي يعتمد عليها الفقهاء والعلماء والمحدّثون، ككتاب (نوادر الحكمة) لمحمد بن أحمد بن يحيى، وكتاب (بصائر الدرجات) للصفّار، وكتاب (الشرائع) لعلي بن بابويه القمّي،

وكتاب (المحاسن) للبرقي، وكتب أحمد بن محمد بن عيسى، وعشرات بل مئات الكتب الأخرى؛ كل هذه الكتب قد أعدّت وأُنتجت في هذا المركز المعرفيّ. هنا، تربّت وترعرعت شخصيات كانت عندما تسافر إلى أقطار العالم الإسلامي تحوّل محافلها إلى محافل الفيض. كان الشيخ الصدّوق (رضوان الله عليه) ـ الذي يعدّ من الجيل الثالث والرابع لهذه الحركة العظيمة ـ عندما سافر إلى بغداد ـ التي كانت مركز الشيعة ومركز الحديث ـ جلس تحت منبره العلماء والفضلاء والكبراء ونهلوا منه. لهذا كما تلاحظون إن الشيخ الصدّوق هو أستاذ المفيد وشيخه قدس سرهما . لهذا أضحت قم مركزاً، وهي كذلك اليوم. وعلى مرّ الأزمنة المتطاولة هاجر إلى قم عشرات الآلاف من فراشات العشق وطلّاب معارف أهل البيت؛ تعلّموا وتلقّوا المعرفة وواجهوا الكثير من المشاكل بإرادةٍ صلبة وهم يتطلّعون إلى الأهداف العليا والمعنويّة، وتقدّموا على الطريق غير عابئين بالصعاب. ولعلّه لا نجد إلا القليل من المدُن في العالم بل ربّما لا نجد مدينةً فيها هذا العدد الكبير من الذين يسعون لتحصيل المعارف الدينية والعرفان والمعنويات والسلوك الجماعي من النساء والرجال المشغولين في السعي والعمل والمجاهدة المعنوية والعلمية والثقافية في آناء الليل وأطراف النهار. هذه هي حوزة قم اليوم. مع ما تتمتّع به من موقع عالمي ممتاز؛ وتلك هي سوابق هذه المدينة التي تأسّست فيها أول حوزةٍ أساسية ومهمّة للتشيّع، نهِل من نبع فيضها أعاظم كالشيخ الكليني، والشيخ الصدّوق وآخرون حيث كانت آثارهم حافظةً لمعارف أهل البيت عليهم السلام على امتداد القرون.

حسناً، إن الحوزات العلمية ـ وخاصة حوزة قم العلمية ـ لم تكن يوماً من الأيام وعبر تاريخها كما هي اليوم محط أفكار وأنظار العالم؛ ولم تكن يوماً مؤثّرةً في السياسات العالمية ولعّله في مصير العالم والدّول كما هي اليوم. لم يكن لحوزة قم في يوم من الأيام من الأصدقاء والأعداء كما هو اليوم. أنتم الملازمون لحوزة قم العلمية لديكم من الأصدقاء ما يفوق كلّ ما حصل في هذا التاريخ؛ وكذلك على مستوى الأعداء عدداً وخطورةً. إنّ حوزة قم العلمية في يومنا هذا ـ والتي هي في قمّة الحوزات العلمية ـ تتبوأ هذه المكانة الحسّاسة.

ويوجد هنا مغالطةٌ ينبغي أن أشير إليها. فمن الممكن أن يقول البعض أنّه لو لم تتدخّل الحوزات العلمية في القضايا العالمية والسياسية وفي التحدّيات، لما كان لها مثل هذا العدد من الأعداء، ولكانت أكثر احتراماً مما هي عليه. هذه مغالطة. لم يكن هناك أي جماعةٍ أو مؤسسةٍ أو مجموعةٍ ذات قيمة تنال احترام الرأي العام بسبب انزوائها واعتزالها وإحباطها ولن يكون أبداً. إن الاحترام الذي تحصل عليه المجامع والمؤسسات اللامبالية التي تتنزّه عن أن تلتصق بالتحدّيات هو احترامٌ صوري وهو في الواقع والعمق عدم احترام؛ مثل احترام الأشياء الذي لا يُعدّ احتراماً حقيقياً، كاحترام الصّور والتماثيل والتصاوير، فإنّه ليس احتراماً واقعياً. وأحياناً يكون هذا الاحترام مهانةً يتلازم مع التحقير الخفيّ من ذاك الذي يتظاهر بالاحترام. فالموجود الذي يكون حيّاً نشطاً مؤثّراً هو

الذي يبعث الاحترام؛ سواء في قلوب الأصدقاء أو حتى في قلوب الأعداء. يعادونه إلا أنهم يعظّمونه ويحترمونه.

إنّ انعزال حوزة قم العلمية وأيّة حوزةٍ علمية أخرى، ينتهي بها إلى الانقراض والزوال. فعدم التدخّل في الأحداث الاجتماعية والسياسة والتحدّيات يؤدّي بالتدريج إلى التهميش والنسيان والعزلة. لهذا فإنّ علماء الشيعة بالعموم، وبغض النظر عن استثناءات جزئية وفردية، كانوا دوماً في صلب الأحداث. ولأجل هذا تمتّع علماء الشيعة بمثل هذا النفوذ والتوغّل في المجتمع بما لم يتحقّق لأيّة مجموعةٍ علمائية أخرى في العالم سواءٌ الإسلامي أو غير الإسلامي.

ثمّ أنّه لو أراد العلماء أن يتحرّكوا على الهامش، وينزووا فإن الدين سيتعرّض للضرر. العلماء جند الدين، وخدّامه، وليس لهم حيثية بدون الدين. لو أنّ العلماء اتّخذوا منحى العزلة والابتعاد عن القضايا الأساسية ـ والتي تمثّل الثورة الإسلامية العظيمة نموذجها البارز ـ ووقفوا يتفرّجون غير مكترثين فإنّ الدين ولا شك سيتعرّض للضرر؛ وإنّ هدف العلماء هو حفظ الدين.

ثالثاً، إذا كان التواجد في الساحة موجباً لاستثارة العداوات، فإن هذه العداوات إذا جمعناها كلّها فإنّ حصيلتها مجتمعةً ستكون أساساً للخير. فتلك العداوات تستثير الهمم والنخوات وتخلق الفُرص لكلّ موجودٍ حيّ. أينما برزت الخصومات والأحقاد تجاه مجموعة علمائية وتجاه الدين، يتحقّق في مقابلها حركةٌ بنّاءة من جانب أهل اليقظة والاطّلاع. قلت ذات مرّة أمام جمعٍ إن تأليف كتاب من قبل كاتب متعصّبٍ ضدّ الشيعة أدّى إلى إنجاز العديد من الكتب

التي مثّلت مصادر شيعية كبيرة. في هذه المدينة بالذات لو لم يُنشر كتاب (أسرار الألف سنة)[1] من قبل شخصٍ منحرفٍ تمثّل شخصيّته مركّباً من الأفكار العلمانية والتوجّهات الوهّابية، لما قام إمامنا العظيم بتعطيل درسه وتأليف كتاب (كشف الأسرار)؛ حيث نرى في هذا الكتاب أهميّة الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه في مراحلها الأولى. كما أنّه يُستشعر في هذا الكتاب إعادة إنتاج هذا الفكر الفقهي والشيعي المهم. لو لم يكن هناك تحرّكات للتيّارات اليسارية والماركسية وحزب توده[2] في عقد العشرينات، وأوائل عقد الثلاثينات (قبل حوالي ستين سنة) لما تمّ إنتاج كتابٍ حيّ وباق مثل (أصول الفلسفة ومذهب الواقعية)[3]. لهذا فإنّ هذه العداوات لم تنتهِ إلى ضررنا. أينما انبعثت الخصومة يظهر الموجود اليقظ والمطّلع ـ أي الحوزة العلمية ـ ردّة فعلٍ من نفسه ويوجد فرصةً. العداوات تخلق الفُرص؛ وذلك عندما نكون يقظين وأحياء وغير غافلين.

في عهد رضاخان حيث برزت تلك الحركة المعادية للعلماء أدّى ذلك إلى أن يعطي مرجع تقليدٍ كالمرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني قدس سره، إجازةً لصرف الوجوهات الشرعية في إصدار المنشورات الدينية والمجلات الدينية؛ حيث كان ذلك ممّا لا سابقة له، وكان في ذلك الزمان شيئاً عجيباً. ولهذا بدأت تصدر النشرات الدينية بأموال الوجوهات وسهم الإمام، وكذلك بدأت تُقام المجامع الدينية بالاعتماد على سهم الإمام. أي أنّ شخصيةً مثل السيّد

(1) أسرار هزار ساله، كتاب من تأليف موسى البرقعي.

(2) الحزب الشيوعي الإيراني.

(3) تأليف العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان.

الأصفهاني قدس سره، وخلافاً لما تصوّر البعض ويتصوّرون، كان يهتمّ بالقضايا الثقافية المتعلّقة ببلدنا والمجتمعات الشيعية ودولة الشيعة، ويجيز صرف سهم الإمام في مثل هذا العمل؛ هذه هي الفُرص. هكذا توجد العداوات مثل هذه الفُرص الكبيرة.

رابعاً، إن حيادية العلماء تجاه قضايا التحدّيات الأساسية لا يؤدّي إلى خمود العداء تجاه العلماء والدين، أو توقّفها، «ومن نام لم يُنم عنه»[1]. لو أنّ علماء الشيعة لم يشعروا بالمسؤولية تجاه العداوات التي تتوجّه إليهم ولم ينزلوا إلى الميدان، ولم يفعّلوا إمكاناتهم، ولم ينجزوا العمل الكبير المُلقى على عاتقهم، ما كان العدو ليتوقف عن عداوته؛ بل على العكس إنهم كلّما شعروا بضعفنا تقدّموا، وأينما أحسّوا باضطرابنا يزيدون من نشاطهم ويتقدّمون. لقد أدرك الغربيّون الإمكانات الهائلة لفكر الشيعة في مواجهة الظلم والاستكبار العالمي وذلك منذ مدّةٍ طويلة نسبياً؛ من قضايا العراق وقضية التنباك؛ لهذا فهم ليسوا ممن يسكت بل إنهم يستمرّون على اعتدائهم واقتحامهم. إنّ سكوت ولامبالاة العلماء والحوزات العلمية لا يمكن أن يوقف عداوة الأعداء بأيّ وجهٍ.

لهذا فإنّ تحرّك الحوزات العلمية وعدم بقائها على الحياد قبال الأحداث العالمية والتحدّيات الداخلية والدولية يُعدّ أمراً لازماً لا يمكن إغفاله.

---

(1) نهج البلاغة، الخطبة 62.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية طرح أولئك الذين كانوا يسيئون للعلماء والثورة في الأذهان مفهومين خاطئين ومنحرفين. وقد تمّ الردّ على هذه الأفكار قولاً وعملاً. (شنشنة نعرفها من أخزم). يجب الالتفات واليقظة دوماً. المفهومان الخاطئان اللذان يُعدّان تهمتين طرحهما العدوّ تكتيكياً، أحدهما حكومة الملالي. قالوا إنّ الحكومة في إيران أضحت حكومة الملالي، وقد أمسكت حكومة الملالي بزمام الأمور. كتبوا هذا، وقالوه وروّجوا له وكرّروه. والآخر طرح موضوع العالِم الحكومي، وتقسيم العالِم إلى حكومي وغير حكومي. كان هدفهم من طرح هذين المفهومين الانحرافيين والخاطئين، أولاً، حرمان النظام الإسلامي من الدعامة الفكرية والنظرية والاستدلالية والعلمية العظيمة لعلماء الدين. وثانياً، تهميش العالم المسؤول والثوري والمتواجد في الساحة، الذي يواجه العداوات والإساءة لسمعته؛ هذا بزعمهم. يقصدون أن هناك نوعاً من العلماء، هم علماء السلطة، وهو أمرٌ سيّءٌ وسلبي ومضاد للقيم، ونوعاً غير تابع للسلطة، وهو أمرٌ إيجابي ونزيه.

إن علاقة العلماء مع النظام الإسلامي علاقةٌ واضحة. وعلاقة العلماء والحوزات العلمية مع النظام الإسلامي هي علاقة دعمٍ ونصيحة. وهذا ما سأوضّحه. الدعم إلى جانب النصيحة، الدفاع إلى جانب الإصلاح.

وذانك المفهومان الخاطئان، هما في الحقيقة مفهومان انحرافيان وعدائيان؛ وذلك، أولاً لأن القول بأن الحكومة حكومة الملالي ونسبة الجمهورية الإسلامية

إلى هذا المفهوم هو قولٌ كاذب. إن الجمهورية الإسلامية هي حكومة القيم، وحكومة الإسلام، وحكومة الشرع، وحكومة الفقه، وليست حكومة الملالي. فالمشيخة ليست كافية لأجل أن يكتسب الشخص سلطةً حكومية. إن الجمهورية الإسلامية تختلف بالماهية مع الحكومات المشيخية التي نعرفها في العالم، تلك التي كانت موجودة في الماضي أو هي موجودة اليوم في بعض مناطق العالم. إن حكومة الجمهورية الإسلامية هي حكومة القيم الدينية، من الممكن أن يحوز أحد المشايخ على خصائص قيمية تجعله أفضل من كثيرٍ من المشايخ الآخرين؛ ويكون مقدّماً عليهم. لكن المشيخة لا توجب سلب الأهلية والكفاءة من أحد. فليست المشيخة لوحدها أهلية وكفاءة كما أنّها ليست سبباً لسلبها. إن الحكومة هي حكومة الدين وليست حكومة صنفٍ خاص أو مجموعةٍ خاصة.

كما أن تقسيم العلماء إلى علماء السلطة وغيرهم، واعتبار القيم بناءً على هذا الأساس هو خطأٌ فاحش. إن السعي من أجل السلطة بل من أجل أي شيءٍ آخر، إذا كان للدنيا فهو سيّئ، إذا كان لهوى النفس فهو سيّئٌ ولا يختصّ بالحكم. إنّ تحرّكنا نحو أيّ هدفٍ إذا كان القصد فيه هوى النفس والمصالح الشخصية، فهو مخالفٌ للقيم، وهو مصداق الدخول في الدنيا الذي جاء: «الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا»[1]. إذا كان الهدف هو الدنيا فهو مردود، وليس الأمر مختصّاً بالسلطة والحكومة. أمّا إذا كان منطلقاً من الأهداف

(1) الكافي، ج1، ص46.

المعنوية والإلهية فهو من أفضل مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أسمى مصاديق الجهاد؛ إنه تقبّلٌ للمسؤوليات الثقيلة أو دفاعٌ عن المسؤولين المؤهّلين. إذا أطلقت كلمة عالم حكومي على من يدافع عن النظام الإسلامي أو يدعم المسؤولين أداءً لدينه، ومسؤوليته الشرعية وفي سبيل الله، فهذا من القيم، وعدم وجود مثل هذه الحالة مخالف للقيم.

لهذا، فإن كلا المفهومين ـ مفهوم حكومة الملالي ومفهوم العالم الحكومي ـ غير صحيح. إنّ طرحهما بعد الثورة وبعد تأسيس النظام الإسلامي هو مغالطةٌ؛ فهذه المفاهيم ليس لها علاقة بثقافة هذه الثورة.

ولكن في المقابل هناك حقيقتان ومفهومان آخران يُعدّان من المفاهيم القيمية ومن مناشئ القيم. المفهوم الأول، أن نظام الحكم يحتاج من الناحية النظرية والعلمية إلى علماء الدين والحوزات العلمية وهو يستقوي بمساعيهم العلمية. النظام يعتمد على الحوزات العلمية والعلماء والفضلاء وأصحاب الرأي والخبرة على المستوى الديني. والمفهوم الآخر هو أنّ الحوزة والعلماء ليسوا غير مبالين فيما يتعلّق بالنظام الديني. لا يوجد أيّ عالم ديني وأيّ خادمٍ للإسلام يمكن أن يكون غير مبالٍ بالنسبة للنظام الذي تحقّق على أساس الإسلام، وهو يتحرّك بالدوافع الإسلامية ويعمل على هذا الأساس؛ لا يمكن أن يعدّ نفسه غريباً عنه. فهذه حقيقةٌ أخرى.

تلك الحقيقة الأولى التي ذكرنا فيها أن النظام يستقوي بالحوزة العلمية لأنّ التنظير السياسي والتنظير في جميع الأبعاد الإدارية لشعبٍ أو لدولةٍ في النظام

الإسلامي تكون على عاتق علماء الدين. إن من يتمكّن من بيان أحكام الإسلام ونظريّته في باب النظام الاقتصادي وفي باب الإدارة وفي باب الحرب والسلم وفي باب القضايا التربوية وفي غيرها من الكثير من القضايا هو المتخصص الديني والعارف بالدين. وإذا لم تجرِ تعبئة مكان هذا التنظير، وإذا لم يقم علماء الدين بهذا العمل، فإن النظريات الغربية والنظريات غير الدينية والنظريات المادية ستملأ هذا الفراغ. لا يمكن لأيّ نظامٍ أو مجتمعٍ أن يدير في الفراغ؛ هناك سيأتي نظامٌ إداريٌ آخر ونظامٌ اقتصاديٌ آخر، ونظامٌ سياسيٌ آخر، تمّ وضعه وإيجاده من قبل الأذهان المادية ويحلّ محلّه، مثلما حدث هذا الأمر عندما استشعر هذا الفراغ في بعض الموارد.

إن ما ذكرته أنا العبد، بشأن العلوم الإنسانية في الجامعات وحذّرت من خطر هذه العلوم المسمّمة بذاتها ـ سواءٌ بالنسبة للجامعات أو للمسؤولين ـ فلأجل هذا الأمر. إن هذه العلوم الإنسانية التي تروج اليوم، فيها من المضامين ما يتعارض ويخالف بماهيّته الحركة الإسلامية والنظام الإسلامي وهو يعتمد على رؤية كونية مختلفة، ولديه مقولات وأهدافٌ أخرى. عندما راجت هذه الأمور تمّ إعداد المدراء على أساسها، والذين هم أنفسهم من يتصدّى لشؤون الجامعات ويقفون على رأس اقتصاد الدولة وعلى رأس قضاياها السياسية والداخلية والخارجية والأمنية وغيرها وغيرها. إن الحوزات العلمية وعلماء الدين هم الدعامات وهم مكلّفون باستخراج النظريات الإسلامية في هذا المجال من قلب المتون الإلهية، وتظهيرها وجعلها في متناول الأيدي في عملية التخطيط وفتح المجالات المختلفة. فالنظام الإسلامي يعتمد على علماء الدين

وعلى العلماء أصحاب الرأي والنظريات الإسلامية؛ لهذا فـإن النظـام مكلّـفٌ بدعم الحوزات العلمية لأنها معتمده.

وبالإضافة إلى حاجة النظام الإسـلامي فـي إدارة الشـعب والدولـة إلـى الحوزات، هناك نقطةٌ أخرى ترتبط بالشبهات التي تُطرح بوجه النظـام، حيـث يتمّ حقن الشبهات الدينية والشبهات السياسية والشبهات الاعتقادية والمعرفيـة في قلب المجتمع ـ وخصوصاً بين الشباب ـ والتي لا هـدف لهـا إلا عـدول الناس من فكرٍ إلى فكر والقضاء على الدعائم البشرية للنظام، وخـدش مبانيـه الأساسية في الأذهان، ومعاداته. لهذا فإنّ القضاء على هذه الشبهات ومواجهتها وإزالة مثل هذه الغبار عن ذهنية المجتمع ـ وهو ما يتحقق بواسطة علماء الدين ـ يُعدّ دعامةً أخرى للنظام الإسلامي. لهذا فإنّ النظام الإسـلامي يعتمـد علـى علماء الدين والمنظّرين والمحقّقين والعلماء في الحوزات العلمية من جهـاتٍ عدّة.

ومن هذه الجهة فإن الحوزات العلميـة لا يمكنهـا أن تبقـى لا مباليـة. إن الحوزة العلمية وخصوصاً حوزة قم هي أمّ هـذا النظـام، هـي التـي أوجـدت وولّدت هذه الثورة وهذه الحركة العظيمة، فكيف يمكن لأمٍّ أن تهمل وليـدها وتكون غير مبالية بشأنه حينما يكون من الضروري أن تـدافع عنـهّ! إنـه غيـر ممكن. لهذا فإن العلاقة المتبادلة بـين الحـوزات العلميـة ونظـام الجمهوريـة الإسلامية هي علاقة الدعم. فالنظام يدعم الحوزات، والحوزات تـدعم النظـام فيتعاونان ويتآزران.

هنا قضية تُطرح، وأنا أطرحها، وبعدها سأعرض لعدّة قضايا أخرى ذات أهميّة فيما يتعلّق بالحوزة إن شاء الله، وهذه القضية هي قضية استقلالية الحوزات، فهل أن دعم النظام الإسلامي للحوزات العلمية يمكن أن يوجد خللاً أو يوجّه ضربةً لهذه الاستقلالية أم لا. وهل أنّ هذا العمل جائزٌ أم لا؟. فهذا بحثٌ مهم. فالحوزات العلمية أوّلاً كانت طوال التاريخ مستقلّةً ليس فقط في عهود الحكومات المعارضة للتشيّع، بل حتى في عهد الحكومات الشيعية، فعندما كان الصفويون على رأس الأمور وقدِم إلى إيران علماءٌ كبار كالمحقق الكركي ووالد الشيخ البهائي وغيرهم من الأعاظم وشغلوا مناصب دينية عدّة لم يصبح هؤلاء العلماء وتلامذتهم ومن تربّى على أيديهم خاضعين للسياسات الصفوية أو تحوّلوا إلى أداة بأيديهم. نعم، كانوا يقدّمون العون ويتعاونون ويمدحون ويجلّون؛ ولكنّهم لم يصبحوا في قبضتهم، وقد كان الأمر على هذا المنوال أيضاً في مقطع من العهد القاجاري. فكاشف الغطاء قدس سره، ذلك العالم الكبير جاء إلى إيران وألّف كتاب (كشف الغطاء)، وفي هذا الكتاب ـ سواءٌ في المقدّمة أو في بحث الجهاد بمناسبة حروب روسيا وإيران ـ كان يظهر الكثير من الإجلال لفتحعلي شاه؛ ولكنّ كاشف الغطاء لم يكن شخصاً يمكن أن يصبح بيد فتحعلي شاه وأمثاله؛ أمثال هؤلاء كانوا مستقلّين. وكان الميرزا القمّي في منزله في قم محترماً ومجلّلاً من قبل شاه زمانه؛ ولكنّه لم ينزل تحت إرادته. وكانوا يصرّون عليه أن يفتي بما يريدون؛ ولكنّ الميرزا لم يقبل ولم يتنازل. للميرزا القمي رسالة بعنوان (الرسالة العباسية)، يبيّن فيها آراءه الفقهية

في باب الجهاد. وهذه الرسالة، قد طُبعت ونُشرت قبل عدّة سنوات لأوّل مـرّة. وقد طُلب منه أن يعطي وكالةً (على سبيل المثال) أو نيابة ليتمكّنوا من الجهـاد من طرفه ـ وبظنّي أن هذا الموضوع قد ذُكر في كتاب (جامع الشتات) ـ ولكنّه لم يخضع أو يقبل. هكذا كان علماء الشيعة على الدوام، كانوا مستقلّين دومـاً، لم يتحوّلوا إلى أداةٍ في قبضة السلطات؛ واليوم الأمر كذلك، وبعدها ينبغي أن يكون كذلك، وسيكون هكذا بتوفيق الله.

ولكن يجب أن تكونوا متنبّهين ها هنا لكي لا تنشـأ مغالطـةٌ أخـرى؛ فـلا ينبغي أن تُتلقّى استقلالية الحوزات بمعنى عدم دعم النظـام للحـوزة والحـوزة للنظام؛ فالبعض يريدون هذا الأمر. يريدون أن يقطعوا علاقـة الحـوزة بالنظـام تحت عنوان الاستقلالية وباسمها، وهذا لا يصحّ، فالتبعية غير الدعم، وهي غير التعاون. إن النظام مدين للحوزة ويجب أن يدعم الحوزات. بالطبع، يجـب أن تدار معيشة الطلاب على يد الناس، علـى طريقـة السـنّة المتعارفـة والمليئـة بالمعاني والأسرار؛ فليأتِ النـاس ويقـدّموا وجوهـاتهم الشـرعية؛ هـذه هـي عقيدتي.

كلّما دقّق المرء في أعماق هذه العادة والسنّة القديمة التـي لعلّهـا كانـت رائجة قبل حوالي **150** سنة، تزداد بنظره أهميّتها ومعانيها وأسـرارها. إن سـرّ الرابطة المحكمة للناس مع الحوزات هو شعورهم بالقرابة والانتماء. النـاس لا يتوقّعون الكثير من العالِم لكنّهم يعدّون أنفسهم مسؤولين عـن الـدعم المـالي للحوزات والعلماء، وهو الصحيح.

لكنّ قضايا الحوزات لا تنحصر بقضية المعيشة. ففي الحوزات إنفاقات لا يمكن تأمينها إلا بدعم بيت مال المسلمين ومساعدة الحكومات. وعلى الحكومات أن تصرف هذه الميزانيات دون أن تتدخّل. الكثير من المدارس المهمّة في المدن المختلفة بناها الأمراء والسلاطين والكبراء. في مشهد بُنيت ثلاث مدارس محاذية ـ مدرسة نوّاب والباقرية والحاج حسن ـ وكل واحدةٍ بُنيت في زمان أحد سلاطين الصفوية وبأمره أو بأمر أمرائه؛ فلا إشكال في ذلك. فالمدرسة الباقرية التي كانت محلّ تدريس المحقّق الملا محمد باقر السبزواري صاحب (الذخيرة والكفاية) قد بُنيت بواسطتهم ولا إشكال في ذلك. يجب أن تُصرف الميزانيات دون تدخّل. فالحوزة تتقبّل أنواع الدعم من جانب النظام بعزّةٍ ومنعة. إن كل هذا الدعم الذي يقدّمه النظام في يومنا هذا للحوزات ويجب عليه وينبغي أن يزداد، كلّه يندرج تحت عنوان المسؤولية والتكليف. وليس مجرّد دعم مادّي. اليوم، بحمد الله، أهم المنابر الوطنية وأكثرها انتشاراً يوضع تحت تصرّف فضلاء الحوزة العلمية والمراجع المعظّمين. فهذه من أشكال الدعم التي يقدّمها النّظام. فالنّظام الإسلامي يجب عليه أن يقدّم كل هذا الدعم انطلاقاً من تلك الرابطة المذكورة. لهذا، لا ينبغي الخلط بين قضيّة التدخّل والاستقلالية وتلك الوقائع الموجودة في هذا المجال.

الحقيقة هي أنّ هذين التيّارين العظيمين ـ تيّار النظام الإسلامي وفي قلبه تيّار الحوزات العلمية ـ هما تيّاران متّصلان ومترابطان ولهما نفس المصير؛ وعلى الجميع أن يعرفوا هذا. فاليوم، مصير العلماء والإسلام في هذه البقعة من الأرض مرتبطٌ ومتشابكٌ مع مصير النظام الإسلامي. فأيةُ ضربةٍ يتعرّض لها

النظام الإسلامي ستكون حتماً خسارة للعلماء وأهل الدين وعلماء الدين أكثر من سائر أبناء الشعب. وبالطبع فإن النظام حيٌّ وشامخٌ وقويّ. وإني بثقةٍ تامّةٍ أقول إن النظام سيتغلّب على جميع التحدّيات التي تواجهه وسينتصر.

ماذا نعني بالتحوّل في الحوزات؟

القضيّة الأخرى المهمّة المطروحة والتي ينبغي تناولها بوضوح، هي قضيّة التحوّل في الحوزات، وهي قضيةٌ تُطرح منذ مدّة في الحوزة العلمية المباركة لمدينة قم. فماذا يعني هذا التحوّل؟ أيّ شيءٍ تريد الحوزة القيام به تحت عنوان التحوّل؟ إذا كان التحوّل بمعنى تغيير الخطوط الأساسية للحوزات ـ كتغيير منهج الاجتهاد ـ فهو قطعاً انحراف. إنّه تحوّلٌ لكنّه نحو السقوط. إنّ المنهج الاجتهادي الرائج اليوم في الحوزات العلمية الذي يعتمده علماء الدين هو من أقوى مناهج الاجتهاد وأكثرها منطقيةً؛ اجتهادٌ يعتمد على اليقين والعلم ويستند إلى الوحي؛ أي أنه يبتعد عن الظن؛ واستنباطنا هو استنباط علمي ويقيني. وهذه الظنون الخاصّة الموجودة يجب أن تكون حجّيتها كلّها يقينية وقطعية. حتى أن اعتبار الأصول العملية التي نُعملها في الفقه يجب أن يكون اعتباراً جزمياً وقطعياً. فما لم نصل إلى الجزم بالدليل القطعي باعتبار هذه الأصل العملي ـ الاستصحاب أو البراءة أو الاشتغال، كلٌّ في محلّه ـ لا يمكننا أن نُعمله. لهذا فإنّ جميع وسائل الاستنباط عندنا في الفقه تنتهي بالواسطة أو بغير الواسطة إلى القطع واليقين.

إن الاجتهاد عند الشيعة لا يعني الاعتماد على الظنون غير المعتبرة؛ فيكون

كما ذكر قدماؤنا اجتهاداً بالرأي يعتمد على الظنون غير المعتبرة كالقياس والاستحسان وأمثالهما، وقد ألّفوا حوله كتباً، ككتاب (الردّ على أصحاب الاجتهاد في الأحكام)، لإسماعيل بن أبي سهل النوبختي، والسيد المرتضى في (الذريعة)، والشيخ في (عدّة الأصول) وغيرهم وغيرهم؛ رفضوا هذا الاجتهاد المبنيّ على الظنون غير المعتبرة. هذا الاجتهاد مرفوضٌ. واليوم نرفض هذا النوع من الاجتهادات لأيٍّ كان وتحت أي اسمٍ. وإن لم يكن هذا الأمر يرضي الدنيا، لا يهم، فإنّ هذا الكلام الفقهي ليس له زبائن في العالم، أو إذا ذكروا هذا صراحةً أم لا لكنّهم في أعماقهم يريدون جرّهم إلى هذا الاستنباط الخاطئ وهو مرفوض. وللأسف يُشاهد في بعض الموارد هنا وهناك، أنّه لأجل مراعاة عُرف العالم المتمدّن ـ بالبعد المادّي بشكلٍ أساسي ـ يتمّ العبث بعملية استنباط الأحكام الشرعية! بل أسوء من ذلك أحياناً ومن أجل جلب قلوب أصحاب القِوى المادية ـ وليس فقط العُرف الشائع للعالم المادّي، بل عُرف القوى المادية والاستكبارية ـ يقدّمون الفتاوى: فالمساعي السلمية النووية للجمهورية الإسلامية تصبح ممنوعةً لأنّها تبعث سوء ظن القوى العظمى! حسناً، لقد أخطأوا ويسيئون الظن. [فليخسئوا أن يسيئوا الظن].

لو تمّ إعمال الاجتهاد وفق المنهج الصحيح المبني على الكتاب والسنّة، وبتلك المنهجية المنطقية المعقولة السليمة المدقّقة الناضجة فهو أمرٌ ممتاز. إن الاجتهادات، ولو استتبعت نتائج مختلفة، تؤدّي إلى الارتقاء والتقدّم. مجتهدونا وفقهاؤنا عبر تاريخ فقهنا، قدّموا آراءً متباينة في المسائل المختلفة. فالتلميذ ينقض آراء أستاذه، ويأتي تلميذه لينقض عليه، فلا إشكال في ذلك، فهذا ما

يؤدي إلى الارتقاء والتطور؛ ويجب تقوية هذا الاجتهاد في الحوزة، والاجتهاد لا يختص بالفقه، ففي العلوم العقلية وفي الفلسفة والكلام، اجتهاد أصحاب هذه الفنون ضروريٌّ، ولو لم يكن هذا الاجتهاد لأصبحنا مستنقعاً راكداً.

لا ينبغي أن تغيب الحوزة في هذا الزمان عن الساحات المختلفة للفلسفة والفقه والكلام في العالم. فكلّ هذه الأسئلة المطروحة في العالم وفي القضايا المختلفة تنتظر رد الحوزة، فلا ينبغي لها أن تغيب أو تنفعل؛ فهما مضرّان. إنّ التفكير المتجدّد ضروريٌّ، والإجابة على الحاجات المستحدثة ضروريّةٌ وهي تنهمر كالسيل في أرجاء العالم، ويجب أن توفّروا أجوبتها. يجب أن تكون إجاباتكم ناظرةً إلى هذا الاحتياج وناظرةٌ إلى الأجوبة التي تقدّمها المذاهب والفرق المختلفة أيضاً. فلو غفلتم عن أجوبتهم، لا يمكن لجوابكم أن يفعل فعله. يجب أن تستنبطوا الأجوبة القوية والمنطقية والمقنعة، يجب أن تُعرض الأجوبة على العالم. وعلى الدوام يجب أن تُضخّ صادرات قم ـ كما قلنا: هي القلب المعرفي للعالم الإسلامي ـ واليوم لحسن الحظ فإنّ وسائل الاتصال السريع تحت تصرّف الجميع. وأنتم قادرون على القيام بشيء ها هنا، فيسمعكم ويستفيد منكم من يعيش في أقاصي العالم في نفس الساعة.

إن الحاجة موجودةٌ على صعيد القضايا المختلفة؛ سواءٌ بالنسبة للنظام الإسلامي أو على مستوى البلد أو العالم. إن تبيين الرؤية المعرفية للإسلام والفكر الاقتصادي والسياسي للإسلام، والمفاهيم الفقهية والحقوقية، التي تشكّل أركان ذلك الفكر الاقتصادي والسياسي، ونظام التعليم والتربية والمفاهيم

الأخلاقية والمعنوية وغيرها وغيرها، يجب أن تُعدّ وتُهيّأ بصورةٍ دقيقةٍ وعلميةٍ ومقنعةٍ وناظرةٍ إلى الأفكار الرائجة في العالم؛ هذا هو عمل الحوزات. وبالاجتهاد يصبح هذا الأمر عملياً. وإذا لم نقم بهذا العمل نكون قد ساعدنا بأيدينا على حذف الدين من ساحة الحياة البشرية، نكون قد ساهمنا بأنفسنا في عزل العلماء. هذا هو معنى التحوّل. وهذه الحركة الاجتهادية المتجددة أساس التحوّل.

نماذج من التحوّل الإيجابي والسلبي في الحوزات

وأعرض هنا إلى ما يُعدّ تحوّلاً وإلى ما لا يُعدّ كذلك، في المجالات الأخرى، أو بتعبيرٍ أفضل ما يُعدّ تحوّلاً صحيحاً وتحوّلاً خاطئاً. فكلامي دائماً كان وسيبقى ـ في السابق ذكرته عبر اللقاءات المختلفة مع فضلاء الحوزة ـ أنّ التحوّل والتغيّر أمرٌ حتمي وسيحصل. وفي يومنا هذا لا يوجد حصنٌ مانعٌ يحيط بأيّة مجموعةٍ صنفية أو داخلية أو غيرها؛ غاية الأمر أن هذا التحوّل والتغيير إمّا أن نديره ونوجّهه أو لا، بل نهمله. إذا تركناه خسرنا. يجب على أكابر الحوزة ومراجع التقليد والعلماء والمفكّرين والفضلاء أن يشمّروا عن ساعد الهمّة ويخطّطوا لهذا التحوّل ويقوموا بتوجيهه وإدارته. لهذا، فإنّ المعنى الأساسي للتحوّل هو: الحركة التجديدية على صعيد المضمون.

من الممكن أن يُراد من التحوّل أو أن يُفهم له معنىً خاطئ، والذي يجب اجتنابه بشكل حتمي. لا يعني التحوّل الإعراض عن المناهج التقليدية شديدة الفعالية للحوزة في التعليم والتعلّم وتبديلها بالأساليب الرائجة في الجامعات

اليوم؛ فمثل هذا التحوّل والتغيير خطأٌ في خطأ، هو تراجعٌ.

في يومنا هذا بدأت مناهجنا التقليدية القديمة المختلفة تُعرف في كل العالم. البعض يروّجون لهذه الأساليب من خلال التقليد أو الابتكار؛ فهل نأتي بالمناهج الجامعية المعتمدة عندنا والمستنسخة عن المناهج الغربية القديمة إلى الحوزة فنحكّمها؟ كلا، هذا لا نعدّه تحوّلاً، ولو حدث مثل هذا التغيير فإنّنا حتماً نعتبره رجعيّةً وتخلّفاً؛ نحن لا نقبل هذا. لدينا في الحوزة العلمية مناهج ممتازة رائجة يُعمل بها منذ القديم. أسلوب الاختيار الحرّ للأستاذ من قبل الطالب. عندما يأتي الطالب إلى الحوزة يفتّش عن الأستاذ الذي يرغب به ويذهب إلى درسه. وأساس حركة الطالب هي التفكير والتدقيق والدراسة لا الحفظ. ومحورية الحفظ هي هذا الشيء الذي نعدّه اليوم بلاء التربية والتعليم الموجود عندنا، ونحن منذ مدّة نواجهه ونحاربه؛ ولم يتحقّق بعد النتيجة المطلوبة التي ينبغي. في الحوزة، فإنّ الأساس الذي نعتمد عليه هو التفكير. والطالب عندما يدرس فإنه قبلها يجري مطالعات مسبقة ويهيئ ذهنه لكي يسمع من أستاذه كلاماً جديداً وبعد الدرس يتباحث مع زميله فمرّةً يدرّسه ومرّة يدرس عنده. لهذا يقر في الذهن.. وفي بعض الحوزات، كحوزة النجف، كانت كتابة تقرير الدرس أمراً رائجاً ـ وفي قم قليلاً ما يُعمل بهذا أو نادراً ـ حيث يقوم أحد الطلبة الفضلاء بعد درس الأستاذ بشرحه للطلاب المحتاجين مرّةً أخرى. ولهذا ترون كم لهذا العمل من تأثيرٍ في تعميق العلم والمعلومات عند طلاب العلم. لا ينبغي تضييع هذه الأساليب، فهذا خسارةٌ.

واحترام الأستاذ قضيّةٌ أخرى. فإحدى السنن الرائجة في الحوزات العلمية هي تواضع التلميذ للأستاذ واحترامه. يُكتب (آداب المتعلمين) ويُذكر فيه مسؤوليات المتعلّم تجاه المعلّم وحقوق المعلّم، وفي المقابل ما للمتعلّم من حقوقٍ على المعلّم. فلا يكفي أن يأتي الأستاذ ويقول كلمته ثمّ يمشي. كلا، بل يستمع إلى كلام التلميذ ويصغي. فهذه أمورٌ كان يُعمل بها منذ القدم. ومنذ زماننا كان هناك بعض الأعاظم وهم اليوم موجودون أيضاً، فالتلميذ يلازم الأستاذ بعد الدرس إلى بيته، يباحثه ويتحدّث معه ويسأله، وتكون الگعدة گعدة علميّة [ذكرها القائد باللهجة العراقية]، فالجلسة تكون جلسة تحقيقٍ وسؤالٍ وجواب. هذه من السنن الجيّدة لحوزاتنا. الآخرون يريدون أن يتعلّموها منا، فهل نقوم نحن باستبدالها بأساليب وسنن الآخرين المنسوخة والبالية؟! لهذا ينبغي أن تبقى هذه السنن وتزداد قوّةً. التحوّل لا يعني تغييرها.

من الأشياء الضرورية في التحوّل الإيجابي هي أن نطبّق أنفسنا وسعينا ونشاطنا العلمي على الاحتياجات. فالناس يريدون منّا أن نجيب عن الأشياء التي يحتاجون إليها وعلينا نحن تأمينها. وهناك أشياءٌ ليست مورد حاجة الناس، وهي من الإضافات والهدر في السعي، فلا ينبغي أن نشغل أنفسنا بها. إنّ هذه قضايا أساسية جداً ومهمّة.

نحن نريد من الجامعات أن تطبّق نشاطها على حاجات المجتمع. فكلما التقينا بالجامعات والأساتذة والجامعيين نكرّر الأمر على مسامعهم، ونقول لهم طبّقوا فروعكم العلمية على حاجات المجتمع، وانظروا ما هي الأشياء المطلوبة،

ومثل هذا الأمر يصدق على الحوزات بطريقٍ أولى.

القضية اللاحقة ترتبط بالنظام المسلكي والأخلاقي للحوزات؛ حيث ينبغي أن يكون هذا التحوّل ـ فيما لو تحقّق ـ ناظراً إلى هذه الجهة أيضاً. ويوجد هنا عدّة عناوين بهذا الخصوص دوّنتها؛ منها تكريم الأساتذة. يجب أن يتحرّك نظامنا المسلكي والأخلاقي في الحوزات بهذا الاتجاه، تكريم الأستاذ وتكريم العناصر الفاضلة وخصوصاً تكريم مراجع التقليد. فليس كل إنسان بمقدوره أن يصل بسهولة إلى مستوى مراجع التقليد المعظّمين، فهذا ما يتطلّب مؤهلات كثيرة. وفي الغالب فإن المراجع يُعدّون القمم العلمية للحوزات العلمية. لهذا يجب الحفاظ على احترام المراجع وتكريمهم.

القضية الأخرى في النظام المسلكي والأخلاقي في الحوزات هي الاستفاضة من المعنويات والتهذيب، فهذا مهمٌّ جداً. إن الشباب اليوم يحتاجون أكثر من أي وقتٍ مضى إلى التهذيب. فأولئك الذين يدرسون ويعملون في فروع علم السلوك العام، يؤيّدون هذا. في يومنا هذا أضحى الوضع في كل العالم حيث النظام المادي وضغط الماديات الذي يجعل الشباب يشعرون بالضيق والكآبة. في مثل هذا الوضع، يكون منقذ الشباب التوجّه إلى المعنويات والأخلاق. إن السبب وراء نمو وانتشار أنواع العرفان الكاذب واستقطابها هو هذا؛ أي الاحتياج. إن شبابنا في الحوزات العلمية ـ سواءً الذكور أو الإناث ـ يحتاجون إلى التهذيب. لدينا قممٌ في التهذيب. في نفس قم كان المرحوم الحاج الميرزا جواد الملكي والمرحوم العلامة الطباطبائي، والمرحوم بهجت

والمرحوم بهاء الديني قدس سرهم، قمم التهذيب في الحوزة. فسلوكهم ومعرفة حياتهم وكلماتهم تُعدّ بذاتها من أكثر الأمور شفاءً وباعثة على اطمئنان الإنسان ومانحة للسكينة والبصيرة ونورانية القلب. وكان في النجف أعاظم؛ سلسلة تلامذة المرحوم الآخوند الملا حسينقُلي إلى المرحوم السيّد القاضي وغيرهم وغيرهم، فهؤلاء عظماء، بمعزل عن مشاربهم الفكرية والعرفانية. والقضية هنا ليست قضية نظرية. البعض كان لهم مشارب مختلفة. كان المرحوم السيّد مرتضى الكشميري قدس سره من أساتذة المرحوم الحاج الميرزا علي القاضي؛ ولكن مشربهما كان متفاوتاً بالكامل. فهو كان يمنع بشدّة من الحصول على كتاب بينما الآخر كان يعشقه؛ فلا مشكلة. هؤلاء الأعاظم الذين كانوا في مشهد، كانوا رجالاً عرفناهم بالتقوى والطهارة والنزاهة، المرحوم الحاج الميرزا جواد الطهراني، والمرحوم الحاج الشيخ مجتبى وأمثالهما كانوا كذلك. والأساس هو شفاء القلب الصدئ بلسانٍ معنوي وكلامٍ نابعٍ من القلب يزيله، لهذا فنحن لا دخل لنا هنا في أنواع العرفان النظري.

وقضية أخرى في مجال النظام المسلكي والأخلاقي للحوزة هي قضية التوجّهات والمشاعر الثورية في الحوزة. أعزائي! إنّ لأجواء الثورة في البلد أعداء معاندين وحقودين. يعارضون حاكمية الجو الثوري في البلد؛ ويريدون القضاء عليه. لقد رأيتم كيف أن الشهادة في بعض الأزمنة أضحت مورد تشكيك ومساءلة وكذلك الجهاد والشهيد وآراء الإمام والأنبياء! ليست القضية أنّ فلان أو فلان مخالفون لهذه المفاهيم، بل أن هذه المخالفة والمعارضة كما يرى العدو يجب أن تُطرح في المجتمع لخلق بيئةٍ وتحطيم الجو الثوري. وفي

الحوزة العلمية يجب على الجميع الالتفات إلى هذه القضية؛ في صلب المجتمع على هذا المنوال وكذلك طبعاً في الحوزات العلمية. يعلمون أنكم لستم أفراداً معزولين بل لكم جمهوركم ومحبوكم، لهذا أنتم تؤثرون في محيطكم. يريدون شقّ هذا الجو الثوري وعزل العالِم الثوري. فاستحقار التعبئة والشهداء والشهادة والتشكيك بالجهاد المديد لهذا الشعب فيما لو حصل ـ لا سمح الله ـ في زوايا الحوزة لكان كارثةً. على كبار الحوزة أن يراقبوا دائماً وينتبهوا ويمنعوا من حصولها.

ونقطة أخرى أوجّهها إلى الشباب الحماسيين والثوريين في الحوزة حيث أنّ الحوزة بمعظمها تشتمل على أمثال هؤلاء. أعزّائي إن المستقبل لكم وأنتم أمل مستقبل البلد. يجب عليكم أن تكونوا متنبهين جداً. صحيحٌ أن الطلبة الشباب الثوريين هم أهل العمل والنشاط وليسوا أهل التسويف والتأجيل، لكن ينبغي أن نلتفت لئلا تستجلب الحركة الثورية تُهمة التطرّف. فعلينا اجتناب الإفراط والتفريط.. وعلى الشباب الثوريين أن يفهموا أنه مثلما يكون الانزواء والسكوت واللامبالاة مضرّاً، كذلك يكون الإفراط. فانتبهوا من أن يتحوّل الأمر إلى إفراطٍ. لو أنّ ما ذُكر في التقرير، بأن هناك بعض مقدّسات الحوزة وبعض أكابرها ومراجعها قد تعرضوا للإهانة، كان صحيحاً، فاعلموا أن هذا انحرافٌ حتمي وخطأ. فالثورية لا تقتضي مثل هذا. إن الثوري ينبغي أن يكون بصيراً، ومدركاً لتعقيدات ظروف زمانه. وليست القضية بهذه البساطة حيث نرفض شيئاً ونثبت آخر، ونقبل ثالثاً، لا يصح الأمر كذلك، بل ينبغي أن تكونوا مدققين وتحفظوا الحماس الثوري، وتقاربوا المشكلات. لا ينبغي أن تنفعلوا بتهم

الآخرين وطعناتهم، مثلما أنكم لا ينبغي أن تكونوا بسطاء؛ فالتفتوا ولا تيأسوا وابقوا في الساحة، لكن دقّقوا وراقبوا سلوك بعض الذين هم مورد اعتراضكم فلا يغضبكم الأمر أو يخرجكم عن طوركم. إن السلوك المنطقي والعقلائي أمرٌ ضروري. وبالطبع أوصي الجميع هنا بأن لا يتّهموا القوى الثورية بالتطرّف، لأن البعض يحبّون هذا الأمر، ويريدون اتّهام العناصر الثورية، والشاب الثوري، والفاضل الثوري، والمدرّس الثوري، في أي مستوى من المستويات، بالتطرّف. كلا، إنّ هذا تحريفٌ يقوم به العدو، وهو واضحٌ. فلا يكون الأمر من هذا الطرف أو ذاك الطرف.

حسناً، إن هذه القضايا ترتبط بالتحوّل. وهنا أوجّه إليكم سؤالاً: هل أن هذا التحوّل المتشعّب، الشمولي، ذا الأبعاد المختلفة، ممكنٌ من دون إدارةٍ منسجمةٍ؟ إن هذا هو الأمر الذي طرحناه قبل عدّة سنين في نفس هذه الحوزة العلمية أمام من أصبح اليوم منهم من المراجع المعظّمين، وكانوا حينها في جامعة المدرّسين، وبعضهم ارتحل من هذه الدنيا قدس سرهم وقبلوه. إن إدارة وتدبير الحوزة من قبل مجموعةٍ متمركزة مؤيّدة من قبل المراجع والأكابر وممن لهم خبرة في القضايا الحوزوية يُعدّ أمراً لازماً لا يمكن اجتنابه؛ وبدون هذا لا يصحّ الأمر. إن هذا العمل المتشعّب المهم بأبعاده الشمولية لا يمكن أن يتحقّق بدون إدارةٍ قوية.

وأذكر نقطتين أخريين لأنهي كلمتي. فلقاؤنا طال كثيراً، وإنّني أعتذر منكم أيها الإخوة والأخوات حيث أنّه بالرغم من وجود هذا المكان الوسيع جلستم

بصعوبة وحشر، كحال الإخوة والأخوات في الخارج جالسين في صحن المسجد الأعظم وحجراته.

أهمية تدريس الفلسفة والتفسير في الحوزات

إحدى القضايا هي قضية درس الفلسفة وفرعها. انتبهوا، إن أهمية الفقه وعظمته لا ينبغي أن تجعلنا غافلين عن أهمية دراسة الفلسفة وفرعها وعلم الفلسفة، فلكلٍّ أعباؤه. فلفرع الفقه مسؤوليات وللفلسفة مسؤوليات كبرى تقع على العاتق؛ كانت راية الفلسفة الإسلامية بيد الحوزات العلمية وينبغي أن تكون كذلك، وتبقى. لو أنّكم تركتم هذه الراية على الأرض فإنّ الآخرين الذين قد لا يكونون مؤهلين سيحملونها؛ فيقع تدريس الفلسفة وعلم الفلسفة بأيدي أولئك الذين قد لا يتمتّعون بالمؤهلات اللازمة لذلك. اليوم، لو أنّ نظامنا ومجتمعنا حُرم من الفلسفة فإنّه سيصبح مقابل هذه الشبهات المختلفة وتلك الفلسفات الواردة عارياً وبلا دفاع. ذاك الشيء الذي يمكن أن يقدّم لكم الأجوبة ليس في الفقه في الأغلب، بل العلوم العقلية، الفلسفة والكلام، فهي ضرورية، وفي الحوزة تُعدّ من الفروع المهمة. والفرع المهم الآخر هو التفسير والأنس بالقرآن والمعارف القرآنية، لا ينبغي أن نبقى محرومين من التفسير. إن درس التفسير مهم وكذلك درس الفلسفة فهي فروعٌ ذات قيمة عظيمة.

ظاهرة الطلبة الأخوات ظاهرة عظيمة ومباركة

النقطة الأخرى فيما يتعلّق بظاهرة الطلبة الأخوات، هي ظاهرةٌ عظيمةٌ جداً

ومباركة، آلاف العالمات والمحقّقات والفقيهات والفيلسوفات يتمّ إعدادهن في الحوزات العلمية للنساء، فأيّة حركةٍ عظيمةٍ ستكون هذه. انظروا إلى نظرة العالَم المادي إلى ظاهرة المرأة وجنس النساء كم هي نظرة سيّئة واستحقارية ومنحرفة. فتواجد العالمات الإسلاميات في الميادين المختلفة ـ كحضور العالمات الصالحات والواعيات الجامعيات اللواتي هنّ من أهل الدين والشرع ـ له أثارٌ عظيمةٌ جداً في العالم وهو يُعدّ سُمعةً حسنةً للثورة. فعلى النساء أن يدرسن جيّداً. وبالطبع لا ينحصر الهدف النهائي لدراستهنّ في صيرورتهنّ مجتهدات أو فلاسفة ـ من الممكن أن يرغب بعضهن ويكون لديهنّ الاستعداد والوقت والبعض الآخر لسن كذلك ـ بل يمكن أن يكون الأمر في مجال المعارف الإسلامية والقرآنية التي يمكن أن تكون مفيدةً لهنّ ولغيرهنّ.

اللهم! اجعل كل ما قلناه وسمعناه لك وفي سبيلك.

اللهم! أفض على هذه الكلمات والمسموعات وهذه الحركة العظيمة في الحوزة من لدنك بالبركة.

اللهم! اجعل عملنا وقولنا وحركتنا تحت ظلّ توجّه ورضا وليّك، فارض عنا قلبه المقدّس، واشمل برحمتك وبركتك روح إمامنا العظيم المطهّر والشهداء الأعزّاء الذين هم فاتحو هذا الطريق.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته